شَرَفُ ذِكْرِ الله تعالى

الإمام الشيخ
عبد الله سراج الدين
رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(صعود الأقوال ورفع الأعمال)
من الصفحة ١٦٠ حتى الصفحة ١٨٥

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناء على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم مؤلفات الإمام
ـالمؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

٧ ـ شرف ذكر الله تعالى:

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، فَمَنْ ذكر الله تعالى بتلاوة كتابه، أَو بتسبيح أو تحميد أَو تكبير أو تهليل أَو ثناءٍ عليه سبحانه، أو باستغفاره أو دعائه أو نحو ذلك: ذكره الله تعالى بالمدح والثناء، والمغفرة والرحمة والإجابة.

روى أبو الشيخ والديلمي، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ قال: «يقول ـ سبحانه ـ: اذْكُرُوني يا معاشرَ العباد بطاعتي؛ أَذْكُرْكُمْ بمغفرتي».

وفي (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأَنا معه إذا ذكرني، فإنْ ذكرني في نفسه: ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ: ذكرتُه في ملإٍ خير منهم، وإنْ تقرَّبَ إليّ شِبراً: تقربت إليه ذراعاً، وإن تقربَ إليّ ذراعاً: تقربتُ إليه باعاً، وإن أَتاني يمشي: أتيتُه هرولة».

فَمَن ذكر الله تعالى في ملإٍ ـ أي: في جَمْعٍ ـ فعظَّمه ومجّده، أَو حَمِده، أَوْ أَثنىٰ عليه، أَو سبّحه أَو كبّره، أَو جاءَ بنحو ذلك،

فإنّ الله تعالى يذكره في ملإٍ خير من ذلك الملإ : أَعْلى رتبةً وأَكثر عدداً ، كما جاءَ في الحديث:

روى الطبراني بإسناد حسن ، عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله جلَّ ذِكْره: لا يَذْكُرني عبدٌ في نفسه إلاَّ ذكرتُه في مَلإٍ من ملائكتي ، ولا يذكرني عبد في مَلإٍ إلاَّ ذكرتُه في الملإِ الأَعلى»[1].

وفي هذا إعلام من الله تعالى للملإِ الأَعلى بفضل هذا الذاكر ، وإعلان بشرفه وكرامته على الله تعالى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قال الله تبارك وتعالى: يا ٱبْنَ آدمَ إذَا ذكَرْتَني خالياً ذكَرْتُك خالياً ، وإذا ذَكَرْتَني في مَلإٍ ذكرتك في مَلإٍ خير من الذين تذكرني فيهم» قال المنذري: رواه البزار بإسناد صحيح[2] ا هـ.

ومعنى: «إذا ذكرتني خالياً» أي : ذكرتني وحدك ، كما جاءَ في حديث السبعة الذين يظلُّهم الله يوم القيامة بظله: «ورجُلٌ ذَكَرَ الله تعالى خالياً ففاضتْ عيناه» أي: ذكَرَ الله تعالى وحده خالياً عن الناس ، وهذه الرواية تُفَسِّرُ الرواية السابقة: «فإنْ ذكرَني في نفسه» أي: خالياً ، بدليل مقابلته بقوله: «وإن ذكَرني في مَلإٍ» أي: جمعٍ من الناس.

وأيُّ شرفٍ أَعظمُ من هذا الشرف ، وهو أَن تَتَشرف بذكرك له

---

(١) انظر (ترغيب) المنذري.

(٢) ورواه ابن أبي الدنيا ، والبيهقي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما ، كما في (الدر المنثور).

سبحانه ، وأَن يُشرِّفكَ بذكره لك ، وإنَّ ذكره لك أَكبر ، قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

فقد جاءَ عن ابن عباس رضي الله عنهما من عدة وجوه أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: ولذِكْر الله لعباده إذا ذَكَروه أكبرُ من ذكرهم إياه[1].

وروى ابن جرير بإسناده ، عن عبد الله بن ربيعة قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: هل تدري ما قولُه تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

قال: قلتُ: نعم.

قال: فما هو؟

قلت: التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة ، وقراءة القرآن ونحو ذلك.

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لقد قُلتَ قولاً عجيباً ، وما هو كذلك ، ولكنه إنما يقول: ذكر الله إياكم عند ما أمر به ونَهى عنه إذا ذكرتموه أكبرُ من ذِكْرِكم إياه[2].

وروى ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد في (زوائد الزهد) وابن جرير ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال:

---

(١) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، كما في (الدر المنثور).

(٢) قال الحافظ ابن كثير: وقد رُوِيَ هكذا من غير وجه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ورُوِيَ أيضاً عن ابن مسعود وأبي الدرداء وسلمان الفارسي رضي الله عنهم وغيرهم ، واختاره ابن جرير. ا هـ.

ذِكْرُ الله العبدَ أكبرُ مِنْ ذِكْر العبدِ لله تعالى.

وروى ابن السُّنِّي ، وابن مَرْدُوْيَه ، والديلمي ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: «ذِكْرُ اللهِ إيَّاكُمْ أكبرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ إيَّاه» كما في (الدر المنثور).

وقد ذكر الله تعالى رسلَه بالمدح والثناء عليهم ، وأنزل ذكرهم في القرآن الكريم ، وأمر النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يذكرهم لأُمته فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ ، ثم قال: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ . . .﴾ الآيات ، ثم قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ . . .﴾ الآيات.

وذكر سبحانه محاسنهم وكمالاتهم فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

أي: هذا ذكرنا إياهم بالثناءِ الجميل ، وبه الشرفُ النبيلُ يُذكرون به أبداً.

وإنَّ خير الذاكرين لرب العالمين ، وأَشرف المذكورين بذكر رب العالمين لهم ، هو إمام الأَنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين ، الذي رفع الله تعالى ذِكْره فقال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ وقد جاءَ بيان هذا الرفع في الأَحاديث النبوية التي فيها البيان عن القرآن:

فعن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله

وسلم أنه قال: «أتاني جبريلُ فقال: إنّ ربي وربك يقول: كيف رفعتُ ذكرك؟

قال: الله أعلم.

قال: إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ مَعي»[1].

وأورد الحافظ ابن كثير ما رواه أبو نعيم في (دلائل النبوة) بإسناده، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما فرغتُ مما أَمرني الله به من أمر السماوات والأرض قلتُ: يا رب إنَّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا وقد أكرمتَه: جَعلتَ إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وسخَّرت لداودَ الجبالَ، ولسليمانَ الريحَ والشياطين، وأحييتَ لعيسى الموتى، فما جعلتَ لي؟

قال: أوَليس قد أعطيتُك أفضلَ من هذا كلِّه؟ إني لا أُذْكَر إلا ذُكرتَ معي، وجَعَلْتُ صدورَ أُمتك أناجِيلَ يقرؤُون القرآن ظاهراً ولم أُعْطِها أُمة، وأعطيتك كنزاً من كُنوز عَرْشي: لا حَوْل ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم».

ثم ذكَرَ ابن كَثير شِعر حسّان بن ثابت رضي الله عنه نقلاً عن البغوي:

أَغرُّ عليه للنبوة خاتمٌ من الله من نور يلَوح ويَشهد
وضمَّ الإلٰهُ اسمَ النبيِّ إلى اسمه إذا قال في الخَمس المؤذنُ: أَشْهدُ

---

(١) أورده ابن جرير بإسناده، قال ابن كثير: وكذا رواه ابن أبي حاتم وأبو يعلى.

وشَـقّ لـه مـن اسمـه لِيُجِلَّـه فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

صلى الله عليه وآله وسلم

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ دليلُ تخصيصه صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الرفع لذكره، إذْ لم يقل سبحانه ورفعنا ذكرك، ففي قوله تعالى: ﴿لَكَ﴾ دليلُ تخصيصه بهذا المقام العالي، وكما دلّ على ذلك حديث أنس رضي الله عنه المتقدم، وفي هذا إعلانٌ برفع ذكره وعلوِّ مقامه على جميع الأنبياءِ والمرسلين صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين.

تنبيه وتذكير

ينبغي للمؤمن أَن يُكْثر من ذِكْر الله تعالى، امتثالاً لأمر الله تعالى حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾، وإن المثل الأكمل الذي حقَّق هذا الإكثار على أكمل وجه هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَذكُر الله على كلِّ أحيانه» رواه مسلم.

وقد حثَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك، وبيَّنَ فضل ذلك:

روى الإمام أَحمد، عن عبيد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه قال: أَتى رجلٌ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إنّ شرائع الإسلام قد كَثُرتْ عليّ، فبابٌ نتمسك به جامع.

قال: «لا يزالُ لِسَانُك رَطْباً من ذِكْرِ الله تعالى»[1].

ولفظ الترمذي: إنّ شرائع الإسلام قد كَثُرت، فَأَخْبِرني بشيءٍ أَتَشَبَّثُ به ـ أي: أَتعلَّقُ به ـ.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزالُ لِسَانُك رطباً من ذكر الله» أي: فلا ينبغي للمؤمن أَن يَجِفَّ لسانه من قلة ذكر الله تعالى.

والإكثار من ذكر الله تعالى فيه فوائد كبيرة وفضائل كثيرة، نذكر طرفاً موجزاً منها:

الأُولى: الإكثار من ذكر المؤمن لله تعالى فيه استكثار من ذكر الله تعالى له، لأن الله تعالى قال: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ كما تقدم، وإنّ ذكر الله تعالى لعبده المؤمن مرةً واحدة فيه من الخيرات والمبرات والمكرمات ما لا يحصيه إلا الله تعالى، ولو يعلم المؤمن حقائقها لفرح الفرحة الكبرى، فهذا أُبيُّ بنُ كعب رضي الله عنه لما أَخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى ذكره باسمه فرح وسُرَّ سروراً كبيراً.

روى الإمام أَحمد بإسناده، عن أبي حَبّة البدريِّ رضي الله عنه قال: لما نزلتْ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ . . .﴾ إلى آخرها قال جبريل: يا رسول الله: إنّ ربك يأْمرك أَن تُقرئها أُبَيّاً.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأُبَيٍّ: «إن جبريلَ أَمرني أن أُقرِئك هذه السورةَ».

---

(١) ورواه الترمذي وقال: حسن غريب، وابن ماجه أيضاً.

قال أُبيّ: وقد ذُكِرتُ ثَمَّ ـ أي: هناك في الملإ الأَعلى ـ يا رسول الله؟ ذكَرني الله تعالى؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم» أي: ذكَرك الله تعالى في الملإ الأَعلى.

قال: فبكَى أُبيٌّ[1].

وفي رواية لأحمد، عن أنس رضي الله عنه، قال أُبَيٌّ: يا رسول الله وسَمَّاني الله لك؟ ـ أي: ذكرني باسمي؟ ـ.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم» فبكَى، أي: من شدة الغبطة والفرح بفضل الله تعالى عليه.

كما جاءَ في رواية الإمام أَحمد، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني أُمرتُ أَنْ أَقرأَ عليك سورةَ كذا وكذا»

فقلت: يا رسول الله وقد ذُكرت هناك؟.

قال: «نعم».

فقال لي: «يا أبا المنذر فرحتَ بذلك»؟.

فقال: وما يمنعني، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وفي رواية الطبراني، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: يا رسول الله وذُكرتُ هناك؟

---

(١) قال ابن كثير: رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي. ا هـ.

فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم، باسمك ونسبك في الملإ الأَعْلى»[1].

وروى أَبو نعيم، عن ثابت البُناني قال: بلغنا أن العبد المؤمن يُوقف يوم القيامة بين يدي الله عز وجل فيقول الله تعالى له: «يا عَبْدي كنتَ تَعْبُدني فيمن يعبدني؟

قال: فيقول: يا رب نعم.

فيقول له: أَكنتَ تدعوني فيمن يدعونني؟

فيقول: يا رب نعم.

فيقول: أكنت تذكرني فيمن يذكرني؟

فيقول: يا رب نعم.

فيقول له: وعزتي ما ذكرتَني في موطن قطُّ إلا ذكرتك فيه، ولا دعوتَني بدعوة قط إلا استجبتُها لك».

ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن العبد المسلم لا تُردُّ له دعوة، إما أَن تُعَجّل له في الدنيا، وإما أَن يُكَفَّر عنه بها خطاياه».

الثانية: الإكثار من ذكر الله تعالى هو من أحب الأعمال إلى الله تعالى؛ وأَفضلها عند الله تعالى؛ وأَقربها إلى الله تعالى.

روى ابن أَبي الدنيا، والطبراني، عن مالك بن يَخَامِر أَن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لهم: إن آخرَ كلامٍ فارقتُ عليه

---

(١) كما في (ترغيب) المنذري.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أَنْ قلتُ: أَيُّ الأَعمال أَحبُّ إلى الله تعالى؟

قال: «أَنْ تموتَ ولسَانُك رطبٌ من ذِكْر الله».

ورواه البزار وابن حبان في (صحيحه) بلفظ: قال معاذ: أخبرني بأَفضل الأعمال وأقربها إلى الله[1]. الحديث.

وروى الترمذي، عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سُئل: أيُّ العبادِ أَفضلُ درجةً عند الله يوم القيامة؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الذاكرون الله كثيراً» الحديث وقال: غريب.

ورواه البيهقي بلفظ: قيل يا رسول الله: أيُّ الناسِ أَعظمُ درجةً؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الذَّاكرون الله»[1].

الثالثة: بذكر الله تعالى تحيا القلوب.

روى البخاري، عن أَنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَثَلُ الذي يَذْكُر رَبَّه والذي لا يَذْكُر رَبَّه: مَثَلُ الحيِّ والميت».

فمن أكثر ذكر الله تعالى كملتْ له حياة قلبه، وبحياة القلب يحيا الجسد بالعمل الصالح المقرِّب إلى الله تعالى.

روى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دعاءٌ حفظتُه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أَدعه ـ أي: لا أَتركه ـ:

---

(١) كما في (ترغيب) المنذري.

«اللَّهُمّ اجعلني أُعْظِمُ شكركَ ، وأُكْثِرُ ذِكْرك ، وأَتْبَع نُصحك ، وأَحفَظ وصيتك».

وبذكر الله تعالى يفتح الله أقفال القلوب ، ويُدخل فيها ما شاءَ من أَنوار الإيمان واليقين والعرفان.

روى ابن السُّنِّي[1] ، عن أَنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا سمعتمُ المؤذِّنَ يؤذنُ فقولوا: اللَّهُمّ افتحْ لنا أَقفالَ قلوبنا بِذكْرك ، وأَتْمِمْ علينا نعمتكَ من فضلك ، واجعلنا من عبادك الصالحين»[2].

وإنما أَرشدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الدعاءِ بهذه الأُمور الثلاثة عند الأَذان لأنه وقت إجابة.

فقد روى أبو داود وغيره ، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ساعتان تُفتح فيهما أبواب السماءِ ، وقلَّما تُردُّ على داع دعوتُه: عند حضور النداءِ؛ ـ أي: الأَذان ـ والصفِّ في سبيل الله»[3]فحقيق بالمؤمن أن يدعو بما فيه الخير.

وهذه المطالب الثلاثة السابقة فيها مجامع الخير ، ومنابع الفضل والبر ، فإنّ القلب إذا فُتحتْ أقفاله دَخَله نور الإيمان والقرآن.

---

(١) في عمل (اليوم والليلة) ص ٤٧.
(٢) وانظر شرح ابن علان على (الأذكار).
(٣) كما في (ترغيب) المنذري.

قال تعالى في الكفار المُقْفَلةِ قلوبُهم: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾؟.

وقال تعالى في المؤمنين المفتَّحة قلوبُهم: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ... ﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾.

كما أن إتمام نعمة الله تعالى على عبده فيه الفضل الكبير الكثير، لأنّ فيه تَـثْبِيْتَ الإيمان، فإن أعظمَ النعمِ هو الإيمانُ، والتوفيقُ لمطالب الإيمان من أعمالٍ صالحة وأقوالٍ طيبةٍ، ثم قبول ذلك وإدخاله الجنة.

روى الترمذي، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً يدعو يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة.

فقال: «أَيُّ شيءٍ تمامُ النعمة»؟.

فقال الرجل: دعوةٌ دعوتُ بها أَرجو بها الخير.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فإنَّ تمام النعمة دخولُ الجنة، والفوزُ من النار».

وسمع صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «قدِ استُجيبَ لك، فَسَلْ» أَي: فادْعُ.

وسمع النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً يقول: اللهم إني أسأَلك الصبر.

فقال: «سألتَ الله البلاءَ ، فَسَلْه العافية».

وأما الدعاءُ بقوله: اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين فقد أرشدنا صلى الله عليه وآله وسلم إلى الدعاء بذلك لما فيه من الخير الكثير ، فإنَّ مَنْ نُظِم في سلك الصالحين نال التولية الخاصة مِنَ الله تعالى ، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ، وأدخله الله تعالى في رحمته الخاصة ، قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وألحقه في الصالحين لمقام المقرَّبين ، ونال النعيم الذي أعدَّه الله لعباده الصالحين ، كما جاء في الحديث القدسي: «أعددتُ لعباديَ الصالحينَ ما لا عينٌ رأَتْ ، ولا أُذُنٌ سمعتْ ، ولا خطر على قلب بشر» رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن رب العزة.

الرابعة: بذكر الله تعالى تطمئنُّ القلوب وتُشْفَى ، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾. والطُّمأنينة هي: سكون القلب إلى الشيء وارتياحه ، وعدم اضطرابه وَقَلَقِه ، فَذِكر الله تعالى يُعطي القلبَ روحاً وأُنساً وسكينة ، وبه يُشفىٰ من سقمه وهمه وغمه وقلقه ، كما جاء في الحديث الذي رواه الديلمي ، عن أَنس رضي الله عنه مرفوعاً: «ذِكْر الله تعالى شفاءٌ للقلوب».

فشفاءُ القلب ورقَّته ولطافته بذكر الله تعالى ، كما أَن مرضه وقسوته بالغفلة عن ذكر الله تعالى.

روى الترمذي ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تُكثروا الكلامَ بغير ذكر الله ،

فإنَّ كثرة الكلام بغير ذكر الله عز وجل قسوةٌ للقلب ، وإنَّ أبعدَ الناسِ من الله القلبُ القاسي»[1] .

فالغفلة عن ذكر الله تعالى تُقَسِّي قلب الغافل ، فتبعده عن الله تعالى ، وبالإكثار من ذِكْره تعالى يَرِقُّ القلب ويصير صاحبه من أهل القرب . فقُلْ لقاسي القلب الذي يشكوا عدم حضور قلبه ، وعدم خشوعه ورقته ، قل له: أكثر من ذكر الله تعالى فهو الدواءُ لك.

روى مسلم ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما كان بين إسلامنا وبين أَنْ عاتَبَنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلا أَربع سنين ، ولذا كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا تلا هذه الآية قال: بلى يا رب ، بلى يا رب.

فالمؤمن معاتَبٌ من الله تعالى في هذه الآية إذا لم يخشع قلبه لذكر الله تعالى ، فَأَخْرِجْ نفسَك من العتاب بخشوع قلبك لله تعالى.

الخامسة: الإكثار من ذكر الله تعالى يَصقُلُ القلب ، ويُذهب عنه ظلماتِ الغفلات ، فيصير كالمرآة الصقيلة تنعكس فيها الأَنوار جليَّةً:

روى ابن أَبي الدنيا والبيهقي ، عن ابن عَمرو رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول: «إن لكل شيءٍ صِقالةً ، وإن صِقالةَ القلوب ذكرُ الله تعالى ، وما من شيءٍ أَنجىٰ من عذابٍ من ذكر الله» الحديث[2] .

---

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. ا هـ.

(٢) كما في (ترغيب) المنذري ، و(الوابل الصيب).

السادسة: الإكثار من ذكر الله تعالى دليل على صدق الذاكر، كما أنَّ قلة ذكر الله تعالى دليل النفاق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فوَصَفَ المنافقين بقلَّة ذِكْرهم لله تعالى.

وقد وصف الله تعالى عباده المؤمنين الصادقين بكثرة ذِكْرهم له سبحانه فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ الآيةَ، وقال تعالى في صفة عباده المؤمنين والمؤمنات: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

السابعة: الإكثار من ذكر الله تعالى يَضَعُ عن الذاكرين أَثقالَهم فيأْتون يوم القيامة خِفافاً:

عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طريق مكة، فمرّ على جبل يُقال له: جُمْدان، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سِيروا، هذا جُمدانُ، سَبَق المُفَرِّدون»[1].

قالوا: وما المُفَرِّدون يا رسول الله؟

قال: «الذاكرون الله كثيراً».

قال المنذري: رواه مسلم واللفظ له، والترمذي ولفظه: يا رسول الله وما المُفرِّدون؟

---

(١) قال المناوي: رُوِيَ بتشديد الراء وتخفيفها، قال النووي في (الأذكار): والمشهور الذي قاله الجمهور هو التشديد. اهـ.

قال: «المستَهْتَرون بذكر الله ، يَضع الذِّكر عنهم أَثقالَهُم ، فيأْتون الله يوم القيامة خِفافاً».

قال المنذري: المفَرِّدون: بفتح الفاءِ وكسر الراءِ ، والمستَهْتَرون: بفتح التاءَين فوق ، هم: المُولَعون بالذِّكر ، المداومون عليه ، لا يُبالون ما قيل فيهم ، ولا ما فُعل بهم. ا هـ.

والأَصل في كلمةِ الاستهتار: أنها موضوعة للإكثار من الشيء والولوع به ، يقال: استهتر فلان بكذا إذا أُولِعَ به ، قال ابن الأَثير في (جامعه): المفردون: فَرَد الرجل في رأْيه ، وأَفْرد وفَرّد واستفرد كلُّه بمعنى ، أي: استقلَّ به وتخلَّى بتدبيره.

قال: والمراد به ـ أي: من هذا الحديث الشريف ـ الذين تَفَرّدوا بذكر الله تعالى ، وقيل: هم الذين هلك ـ أي: مات ـ أترابهم ـ أي: أقرانهم ـ من الناس ، وذهب قَرنُهم الذي كانوا فيه ، وبَقُوا بعدهم ، فهم يذكرون الله تعالى. ا هـ.

وأَما وجه ذكره صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الحديث حين قَرُب من جبل جُمْدان: فيدل عليه ما جاءَ في رواية جعفر الفِرْيابي ، عن موسى بن عُبيدة ، عن أبي عبد الله القَرّاظ ، عن معاذ رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسير بالقرب من جُمْدان إذ اسْتَنْبَه ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا معاذُ أَين السابقون»؟

فقلت: قد مضوا وتخلَّف أُناس.

فقال: «يا معاذ إن السابقين الذين يُستَهْتَرون بذكر الله تعالى».

فلما سَبَق الركبُ وتخلَّف بعضهم نبَّه النبي صلى الله عليه وآله

وسلم على أَن السابقين على الحقيقة ؛ هم الذين يُدْمِنون ذِكر الله تعالى ويُولَعون به[1].

وهذا من المناهج التي انتهجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كلامه الشريف ، متأَسِّياً بكلام رب العالمين ، النازل عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك بأَن ينتقل من مرئيات الدنيا إلى مُغَيَّبات الآخرة ، ومن الأُمور المطلوبة في الدنيا إلى الأُمور المطلوبة للآخرة ، لأنها أهم وأَعظم ، والحاجة إليها أَشدُّ وأَقوى وأَبقى.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فقد أمر سبحانه عباده أن يتزودوا لأَسفارهم في الدنيا ، حسب ما تحتاج إليه أسفارهم قُرباً وبُعداً ، وحسب طول مدة السفر وقِصرها ، وإن كانت الآية الكريمة نزلت في سفر الحج ، ولكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ ، كما هو معلوم ، وإنما يكون سببُ النزول أوّلَ داخلٍ في المراد من الآية قطعاً.

فلما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أَرشدهم إلى زاد الآخرة ، لينبِّه العباد إلى أَن التزود لسفر الآخرة هو أَهمُّ ، والحاجة إليه أعظم ، لأنه طويل الأمد ولا رَجعة بعده ، وعليه تتوقف سعادة حياة الأَبد ، فإذا كانت أَسفار الدنيا تحتاج إلى زاد ، فالسفر للآخرة هو أَحوج إلى زادٍ أَعظمَ وأبقى عند العقلاءِ أُولي الأَلباب ، فلا ينبغي أن يكون زاد الدنيا أكبرَ همهم ومبلغَ عملهم ، بل ينبغي أن

---

(١) انظر كلام الحافظ ابن رجب الحنبلي في (جامع العلوم والحكم).

يكون زاد الآخرة هو أكبرَ همهم ومبلغَ علمهم في الحصول عليه ، وذلك الزاد هو تقوى الله تعالى ، فمن حَصَل عليها فهو صاحب الغنىٰ ، ومَنْ فَقَدها فهو الفقير المنقطع في سفره على الحقيقة.

وقد قالت زوجة داود لابنها سليمان على نبينا وعليهم الصلاة والسلام: يا بُنيّ لا تُكْثِرِ النومَ في الليل ، فمن كثر نومه في الليل جاءَ يوم القيامة فقيراً.

اللهم أكرمنا بالتقوى ، وجَمِّلنا بالعافية يا أرحم الراحمين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ، فإنه سبحانه لما ذكر لعباده اللباسَ الحسيَّ الجسماني ، الذي هم في شدة الحاجة إليه ، نبَّه ـ مرشداً ـ إلى اللباس المعنوي الإيماني الذي هم إليه أحوج ، وهو أَهم وأعظم ، وخير وأبقى ، ألا وهو لباس التقوى ، فمن حصل عليه كان كاسياً في الآخرة ، ومَن عَدِمه فهو كاسٍ في الدنيا عارٍ في الآخرة.

كما جاءَ عن أَبي بُجَير رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا يا رُبّ نفسٍ طاعمةٍ ناعمة في الدنيا ؛ جائعة عارية يوم القيامة ، ألا يا رُبَّ مُكْرِمٍ لنفسه وهُو لها مُهِين ، ألا يا رُبّ مهينٍ لنفسه وهو لها مُكْرم»[1].

وروى البخاري ، عن أُم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا كما في (ترغيب) المنذري ، ورواه السيوطي في (الجامع الصغير) بأطول من ذلك وعزاه إلى ابن سعد والبيهقي ، رامزاً لحسنه.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذاتَ ليلة فقال: «سبحان الله ماذا أُنزل الليلةَ من الفتن، وماذا فُتح من الخزائن، أيقظوا صَواحِباتِ الحُجَر، فَرُبَّ كاسِيَةٍ في الدنيا عارِيةٍ في الآخرة».

وهكذا القرآن الكريم يَهدِي العباد لمصالح الدنيا والآخرة، ويبيِّن لهم ما هو الأَعظم والأَهم حتى لا تَشغَلَهم مصالحُ دنياهم عن التزوُّد والاستعداد لآخرتهم، فإنّ الدنيا فانية والآخرة باقية، وإنَّ أهل التذكُّر وأُولي الألباب ـ العقول السليمة ـ يُدركون الفرق الكبير بين الزاد الذي ينبغي لدار الفناءِ، وبين الزاد الذي ينبغي لدار البقاءِ، وإلى هذا ينبه سبحانه بقوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

فالأَحمق كلَّ الحماقة من أَضاع عمره كلَّه في زاد الدنيا، وجَمَع مالها؛ ولم يتزود لآخرته، ثم راح وترك الدنيا وما فيها؛ ولم يأْخذ معه منها خُفّاً ولا نعلاً.

ومَنْ يُنْفِق الساعاتِ في جَمْعِ ماله مخافةَ فقرٍ فالذي فعَل الفقرُ

فلا يجوز للمسلم أن تكون الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه، فإنَّ في ذلك خطراً على إيمانه، بل الواجب عليه أن تكون الآخرة هي أكبرَ همِّه، وغايةَ رغبته ومقصده ونيته.

وقد جاءَ في دعاءِ القيام من المجلس، الذي رواه الترمذي، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوم من مجلسٍ حتىٰ يَدعوَ بهؤلاءِ الدعوات لأَصحابه: «اللهم اقْسِمْ لنا من خشيتك ما تَحولُ به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبَلِّغُنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهَوِّن به علينا مصائبَ الدنيا.

اللهم أَمْتِعْنا بَأسماعنا وأَبصارنا وقوَّتنا ما أَحييتَنا ؛ واجعلْه الوارثَ منا ، واجعلْ ثأْرنا على مَن ظَلَمنا ، وانصُرْنا على مَنْ عادانا ، ولا تَجْعل مصيبتَنا في ديننا ، ولا تَجعلِ الدنيا أكبرَ همنا ولا مبلغَ علمنا ، ولا تُسلِّط علينا مَن لا يرحمنا».

فالواجب على المسلم أن يكون أكبر همه الآخرة ، وتكون نيته ورغبته الآخرة.

روى الترمذي ، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن كانتِ الآخرةُ همّه: جعل الله غِناه في قلبه ، وجَمَع لَه شمله ، وأتتْه الدنيا وهي راغمة ، وَمَنْ كانت الدنيا همّه: جعل الله فقره بين عينيه ، وفَرّق عليه شمله ، ولم يأْتِه من الدنيا إلا ما قُدِّر له».

والمعنى: أنه يبقىٰ فقير النفس ولو ملك القناطير المقنطرة ، والمراد بذلك أنّ همّ الدنيا بالنسبة لِهَمِّ الآخرة هو لا شيء ، فينبغي أن يكون أكبر همِّ المسلم آخرته لا دنياه ، يوضِّح ذلك الرواية الثانية:

روى الطبراني ، عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تَفَرَّغوا من هموم الدنيا ما استطعتم ، فإنه من كانت الدنيا أكبرَ هَمِّه: أَفْشَى اللهُ ضَيْعَتَه[1] ، وجعل فقره بين عينيه ، ومن كانت الآخرة أكبرَ همِّه: جمع الله

---

(١) ضيعة الرجل: ما يكون منه معاشه ، كالصنعة ، والتجارة ، والزراعة ، وغيرها ، كما في (النهاية) والمعنى: كثر الله عليه معاشه ليشغله عن الآخرة.

عز وجل له أُموره ، وجعل غِناه في قلبه» الحديث.

الثامنة: الإكثار من ذكر الله تعالى ، به يَسْتديمُ الذاكرُ معيَّة الله تعالى الخاصة:

روى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني. . .» الحديث كما تقدم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله عز وجل يقول: أنا مَعَ عبدي إذا هو ذكرني وتحركتْ بي شَفَتاه».

قال المنذري: رواه ابن ماجه واللفظ له ، وابن حبان في (صحيحه).

التاسعة: الإكثار من ذكر الله تعالى فيه استكثارٌ من ذكره عند ربه:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن مما تَذكرون من جلال الله: التسبيحَ والتهليلَ والتحميدَ يَنْعَطِفْنَ حول العرش ، لهنَّ دويٌّ كدويِّ النحل تُذكِّر بصاحبها ، أما يُحبُّ أَحدكم أن يكون له ـ أو لا يزال له ـ من يُذَكِّر به»[1].

---

(١) قال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا ، وابن ماجه واللفظ له ، والحاكم وقال: على شرط مسلم. اهـ وعزاه العلامة ابن القيم في (الوابل الصيب) إلى الإمام أحمد في (المسند) بلفظ: «التكبير» بدلاً من «التسبيح» ، و«يتعاطفن» بدلاً من: «ينعطفن».

العاشرة: المكثرون من ذكر الله تعالى يعلن الله تعالى إكرامهم في عالم الموقف:

روى الحاكم وصححه ، وابن مَرْدُوْيَه ، والبيهقي في (شُعَب الإيمان) ، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سَفر فقال: «يُجْمَع الناسُ في صعيد واحد ، يَنْفُذُهم البصر ، ويُسمِعهم الداعي ، فينادِي منادٍ: سيعلمُ أَهلُ الموقف لِمَن الكرمُ اليوم ـ ثلاث مرات ـ ثم يقول: أين الذين كانت ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ ـ أي: قُوّام الليل ـ ثم يقول: أين الذين كانت ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ . . . ﴾ ـ إلى آخر الآية ـ ثم يقول: أين الحمّادون الذين كانوا يَحمَدون ربّهم».

وروى البيهقي في (الشُّعَب) أيضاً ، ومحمد بن نصر في كتاب (الصلاة) ، عن أَسماءَ بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يَجمع الله الناسَ يوم القيامة في صعيد واحد ، يُسمعهم الداعي ، ويَنْفُذهم البصر ، فيقوم منادٍ فينادي: أين الذين كانوا يَحمَدون الله في السراءِ والضراءِ ، فيقومون ؛ وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يعود فينادي: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، فيقومون ؛ وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، فيعود فينادي: أين الذين كانوا لا تُلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فيقومون ؛ وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يقوم سائر الناس فيحاسَبون»[1].

---

(١) انظر ذلك في (الدر المنثور).

الحادية عشرة: الإكثار من ذكر الله تعالى حِصْنٌ حَصِينٌ من الشياطين:

جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، والترمذي وصححه ، من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمسِ كلماتٍ ، أن يعمل بهنَّ ، وأن يأْمرَ بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ ، وإنه كاد أَن يُبطىءَ بها ـ أي: بتبليغها لبني إسرائيل ـ فقال له عيسى عليه السلام: إن الله تعالى أمرك بخمس كلمات لتعملَ بها ، وتأْمرَ بني إسرائيل أن يعملوا بها ، فإما أن تأْمرهم وإما أن آمرهم ، فقال يحيى عليه السلام: أخشى إنْ سبقتَني بها أَن يُخسَف بي أَو أُعذَّب.

فجمَعَ يحيى الناسَ في بيت المقدس ، فامتلأَ المسجد ، وقعدوا على الشُّرَف.

فقال يحيى عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أَمرني بخمس كلمات أَن أَعمل بهنّ وآمركم أن تعملوا بهنَّ:

أوّلهن: أَن تعبدوا الله ولا تُشركُوا به شيئاً ، وإنَّ مثل من أَشركَ بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو وَرِق ، فقال له: هذه داري ، وهذا عملي ، فاعملْ وأدِّ إليّ ، فكان العبد يعمل ويؤدِّي إلى غير سيده ، فأيّكم يرضىٰ أن يكون عبده كذلك؟.

وإن الله تعالى أمركم بالصلاة ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله تعالى يَنصِب وجهه لوجه عبده ما دام في صلاته ما لم يكن يلتفت.

وأمركم بالصيام ، فإن مَثَل ذلك كمثل رجل في عصابة معه

صرَّة فيها مسك ، فكلهم يعجبه ريحه ، وإن ريح فم الصائم أطيبُ عند الله تعالى من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة ، فإنّ مَثَل ذلك مثلُ رجل أَسَره العدو ، فأَوثقوا يديه إلى عنقه وقدَّموه ليضربوا عنقه ، فقال: أَنا أَفتدي منكم بالقليل والكثير ، فَفَدَى نفسه منهم.

وأمركم أَن تذكروا الله تعالى ، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدوُّ في أَثره سِراعاً ، حتى إذا أَتى على حصن حصين فأَحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يُحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى».

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وأنا آمركم بخمسٍ الله أَمرني بهنَّ: السمع والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فإنه مَن فارق الجماعة قِيْدَ شِبرٍ فقد خَلَع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه إلا أَن يراجع ، ومن ادّعى دعوى الجاهلية فإنّه من جُثِيِّ جهنم».

فقال رجل يا رسول الله: وإن صلى وصام؟.

قال: «وإن صام وصلى وزعم أَنه مسلم ، فادعوا بدعوى الله الذي سمّاكم المسلمين والمؤمنين عبادَ الله تعالى».

فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخاصة لكان حقيقاً بالمسلم أَن لا يَفْتُرَ لسانُه عن ذكر الله تعالى ، لأَنه لا يُحرز نفسَه من الشيطان الذي هو عدُّوه إلا بالذكر ، ولا يمكن أَنْ يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة عن ذكر الله تعالى ، فالشيطان مترقِّب ومترصِّد للإنسان ، فإذا غفل عن ذكر الله تعالى وَثَب عليه ووسوس ، وإذا ذكر الله تعالى انقبض وخنس.

وإذا استحكمت الغفلة وتمادى فيها حتى عَشَى قلبُه عن ذكر الرحمن صار الشيطان له قريناً ملازماً ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.

فليكن المسلم ملازماً لذكر الله تعالى ، فإنه له حرز منيع من الشياطين مهما تكاثرت عليه ، سواءٌ في ذلك شياطين الإنس والجن ، قال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

وقد بيّن سبحانه وتعالى في سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أنّ الذي يُوَسوس في صدور الناس هو من شياطين الجِنَّة ، ومن شياطين الناس ، فينبغي التعوذ والتحصُّن منهما ، وذكرُ الله تعالى من أَقوى الحصون.

روى الإمام أَحمد بإسناده ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أَتيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المسجد فجلستُ فقال: «يا أبا ذر هل صليتَ»؟.

قلت: لا.

قال: «فصلِّ».

قال: فقمت فصليت ثم جلست.

فقال: «يا أبا ذر تعوذْ بالله من شر شياطين الإنس والجن».

فقلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟

قال: «نعم» الحديث.

الثانية عشرة: إنّ الإكثار من ذكر الله تعالى: فيه الصلة بين العبد

وبين ربه ، كما نبّه لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

فقد روى ابن ماجه ، عن جابر رضي الله عنه قال: خَطَبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أَن تُشغلوا ، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرةِ ذِكْرِكم له ، وكثرة الصدقة في السر والعلانية؛ تُرْزَقُوا وتُنْصَروا وتُجْبَروا ، واعلموا أن الله تعالى قد افترض عليكم الجمعةَ في مقامي هذا ، في يومي هذا ، في شهري هذا ، من عامي هذا ، إلى يوم القيامة ، فمن تَرَكها في حياتي أَو بعدي وله إمام عادل أَو جائر: استخفافاً بها ، وجُحوداً بها؛ فلا جَمَع الله له شمله ، ولا بارك له في أمره ، ألا ولا صلاة له ، ألا ولا زكاة له ، ألا ولا حج له ، ألا ولا صوم له ، ألا ولا بِرَّ له؛ حتى يتوب ، فمن تاب تاب الله عليه» قال المنذري في (الترغيب): رواه ابن ماجه ، ورواه الطبراني في (الأوسط) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخصر منه. اهـ.